زوال عقـــدة أوديـــب... تأسيـــس للقانـــون والمحـــرم

في سياق القوانين الدّاعشية الجديدة في سوريا

www.arabpsynet.com/Documents/DocJ41MarcelinaOedipusComplex.pdf

د. مرسلينا حسن شعبان
محللة نفسية- سوريا
mar-selena@hotmail.com

إن القانون موضوعياً هو بمثابة الحدّ الذي تقف عنده الشّهوات ، والملذات ، وبالتّالي الملاحظ انه عند هذا الحدّ تبدأ الرّغبة ، والرّغبة وفق المنظور النّفسي التّحليلي : هي التي تميّز الانسان عن الحيوان ، فحدود الاخير يراها في الاشباع ، اي لا تخضع الاّ للقوانين البيولوجية ، أما الانسان فحدوده قد تكون قبل الاشباع واهدافه بعده

الرّغبة تتمخض بعد اشباع الحاجة ، وتتأسس في اللحظة التي يتدخل القانون ليضع الحدّ الفاصل ، بين المستباح وغير المستباح ، اذ من هذه النّقطة تبدأ العملية النّفسية في اعتماد المحرم محورا اساسيا في بناء الذّات

كيف للمواطن في بلاد مثل بلادنا ان يكون مدافعاً عن القانون ، وهذا القانون يغبن له حقه بدلا من كونه يصونه ، من المؤسف ونحن ننتمي لمنطقة انطلقت منها اول التشريعات على الارض ، مازالت القوانين في بلاد هذه المنطقة تأخذ وضعيتها تبعاً للمشرف على تنفيذها وحسب .

لنلقي نظرة عامة حول توضيح المقصود بالقانون:

القانون هو كنايّة عن عقد رمزي ، يرتبط عبره الفرد بالجماعة ، لاحترام الآخر ، والتّساوي معه في الحقوق والواجبات ، وأي تعدّ عليه يعتبر تعديّا ، ليس على الفرد انما على الجماعة بأكملها.

فمن يسرق وينهب ويقنص ويغتصب فتهمته انه يخترق النّاموس البّشري للمحرمات..

إن هوية القانون جماعية ، وبالتالي اجتماعية قبل ان تكون فردية ، لأن العقد يكون في الاساس مع الآخر الكبير ، او الموقع الرّمزي خارج محيط الزّمان والمكان ، كم نسمع المقولة الشعبية المؤثرة بأن العرف الاجتماعي اقوى من القانون ، فمن يخترق الاعراف يعزل اجتماعيا رغم ان القانون قد لا يطاله .

وما بين حكم الاعراف وقوانين التّحريم الى عيش القوانين المدنية في العصر الحديث نلاحظ انها جميعها تبدأ بعلاقة الانسان مع الآخر ، منذ الطّفولة ، ومنذ بداية التّاريخ كان قانون التّحريم قائما ، حتى أصبح عملية نفسية داخلية محرمة بحدّ ذاتها ، وان غابت العقوبات الخارجية.

ما نعايشه مؤخرا في بلادنا من تبعات غياب السّلطة "سلطة الدولة " على الارض ،تجاوزات للضوابط والممتلكات مرد ذلك عائد لعدم تنفيذ العقوبات بمرتكبي الجرائم ، والمحرمات من سرقات وقتل ، الذي استفحل امتداده في سوريا ، إذ بات هذا الواقع يسهم في استباحة الناس بعضهم لبعض ، اذ من يوم ليوم نسمع قيلا عن قال او نلتقي بأشخاص تعرضوا للابتزاز المالي بعد تجربة اختطاف ، او نسمع ونشهد سلع كثيرة في الاسواق السّورية في السنوات الثلاث الاخيرة مصدرها السّرقة .

وهنا لا يمكننا فعل اي امر الاّ أن نستنكر ذلك من دواخلنا ، والأشد أسفاً أن نجد أن الاخلاق والقيم التّربوية ايضاً مغيبة ، كما هو حال غياب السّلطة ، حيث الرادع الاخلاقي هو رادع داخلي يحمي الفرد من الانجرار للانتهاكات وممارسة القتل وانتهاك ممتلكات الغير، وبالتّالي

الدّخول امام الذّات برؤية مرآوية لاستنكار فعل الذّات المشين هذا.

إن القانون موضوعياً هو بمثابة الحدّ الذي تقف عنده الشّهوات ، والملذات ، وبالتّالي الملاحظ انه عند هذا الحدّ تبدأ الرّغبة ، والرّغبة وفق المنظور النّفسي التّحليلي : هي التي تميّز الانسان عن الحيوان ، فحدود الاخير يراها في الاشباع ، اي لا تخضع الاّ للقوانين البيولوجية ، أما الانسان فحدوده قد تكون قبل الاشباع واهدافه بعده ، لأن الرّغبة تتمخض بعد اشباع الحاجة ، وتتأسس في اللحظة التي يتدخل القانون ليضع الحدّ الفاصل ، بين المستباح وغير المستباح ، اذ من هذه النّقطة تبدأ العملية النّفسية في اعتماد المحرم محورا اساسيا في بناء الذّات.

ان انعكاس القانون في الذّات ، ان لم يسبقه تمهيد وتصوّر هو تهديد يطاول البنية النّفسية ، ويصبح أشبه بالتّهديد بالخصاء . وهذا لا يعني كما يتصور البعض فقدان الأعضاء الجنسية ، انما يطاول الرّغبة في شكلها المباح والغير المباح

عقدة أوديب وزوالها عند الطفل وبدء الوعي لقانون المحرّمات ؟:

في مقالة ل "فرويد" حول عقدة اوديب يقول فيها : ان الطّفل بعد ان يعيش حالة صراعية مع ابيه حول امتلاك الام أو الاقلاع عنها ، يحسم أمره ، ويتخلى نهائياً عن الإثم الأكبر لكي يربح في ذاته مثال الاب ، وهكذا تتحلل العقدة الاوديبية ، فتتبدد في كل اجزائها كالباخرة التي تغرق مع كل حمولتها.

وهنا الذّي يبقى هو قانون التّحريم الذّاتي ، الذي يقبع في النّفس في صورة الأنا الاعلى أو الضّمير الحيّ ، اي ما كان محرماً خارجياً يصبح محرماً داخلياً ، يتدخل في كل مرة طاوعت النّفس الاغراء بالسّوء ، من هنا يكون بدء العملية النّفسية لتأسيس القانون الدّولي قبل ان يتعرف الطّفل على المحرمات المسلكية فيما بعد...

يطاول كل ما هو موضوع الرّغبة ، فحرمان الثّري من ثروته هو خصاء ، وكذلك حرمان الحاكم من سلطته هو خصاء والام من طفلها و.....

هذه النّواة من المحرّم ، هي صلة الوصل بين الدّاخل والخارج ، تتكون عندما يتعدى الطّفل العقدة الاوديبية ، ويحسم صراعه مع الأب ، الذي بدوره ينتقل إلى الدّاخل في صورة متماهية ، يستخرج منها مثال الأنا ، والأخير يسقط على الخارج سواء أكان على الصّعيد الاجتماعي أم الوطني ، بكل ما يمثله من القيم والاخلاق والوطنية والالتزام بالقانون . فإن ابتعد عن هذا المثال يشعر بالدّونية والانحطاط والاحباط أو حتى الفشل ، وكلما اقترب منه يشعر عكس ذلك بالنّشوة والفرح والاغتباط والرضى عن النّفس ، أو حتى الشّعور بالفوز والنّصر.

هنا كما يبدو لنا الارتباط بين القانون ، ومثال الانا أو المثال العليا الخاص في كل مجتمع على حدا ، فلا يمكن تحقيق مثال معين ، وفي الوقت نفسه انتهاك القانون في كل بلد يأخذ اشكاله المختلفة ، لكن العكس قد يكون ممكنا ، وقد يخلق اشكالات اجتماعية ووطنية بالتّضحية بمثال اعلى في سبيل الاحتفاظ بالقانون ، لأن الاخير أعمى وفي حاجة دائمة الى رجال القانون لتأويله ، وتطويره بحسب مقتضيات الاحوال : من زمان ومكان . اذ ان المبدأ القائل بتغير الاحكام بتغير الازمان ، هو مبدأ موضوعي منطقي ، تبعاً للمنطق الديكارتي في القانون السببي والحتمية السببية .

فالقانون هو الحدّ الفاصل لموضوع الرّغبة : كونه يفصل هذا الموضوع على قياس وجود الشّخص ، فالعيش من دون قانون يولّد قلقاً لا يحتمل ، لأنه يلغي تحديد الوجود .

هذا الحديث العام يستدرجنا الى طرح مسألة القانون في مجتمعنا ، ومن ثم الحديث بوجه خاص حول السّلوك المنحرف ، الذي ليس هو الانحراف بالمعنى النّفسي المرضي بقدر ما هو الانحراف عن المألوف في تصرف يمارسه الانسان في العمل في السّياسة ، وفي التّعامل الاجتماعي ، ومن كون السّلوك الانحرافي هو افلات من القانون

وتحدي للسّلطة.

فالانحرافات النّفسية ، وكل المسالك الاجتماعية الشّاذة والتّجاوزات المستمرة والفساد ، والغوص في التّراتب الاجتماعي ناجمة كلها عن خطأ تعاملها مع القانون ، فإما هو حليف وإما هو عدو وإما هو واقع يمكن التّهرب منه ، فيختلط عندئذ الحليف مع العدو ، والمحب مع المبغض...

كما ان انعكاس القانون في الذّات ، ان لم يسبقه تمهيد وتصوّر هو تهديد يطاول البنية النّفسية ، ويصبح أشبه بالتّهديد بالخصاء . وهذا لا يعني كما يتصور البعض فقدان الأعضاء الجنسية ، انما يطاول الرّغبة في شكلها المباح والغير المباح ، اي بمفهوم عام يطاول كل ما هو موضوع الرّغبة ، فحرمان الثّري من ثروته هو خصاء ، وكذلك حرمان الحاكم من سلطته هو خصاء والام من طفلها و.....

وهكذا فالرّغبات ومواضيعها لا تحدّ ، يوظفها الانسان في استثماراته النّرجسية ويأمل في تحقيقها.

فالقانون هو الحدّ الفاصل لموضوع الرّغبة : كونه يفصل هذا الموضوع على قياس وجود الشّخص ، فالعيش من دون قانون يولّد قلقاً لا يحتمل ، لأنه يلغي تحديد الوجود.

ان الشّخص الانحرافي أو المحتال أو الشّاذ إذا قلت له انك حرّ من كل القيود والقوانين يصاب بهلع ، لأن الحياة تصبح مستحيلة فهو في حاجة ماسة لهذا الحدّ ، الى القانون لكي يبني رغبته على اساس نفيه

، يقول "فرويد" : ان القانون عملية نفسية اساسية في تكوين المجتمع قبل ان يصبح نصوصا تنتشر.

القانون الاولي يعود الى العشيرة البدائية ، حيث كان الاب يتمتع بكل الملذات ، ويستأثر بها لنفسه من دون ابنائه ، حتى اذا ما وصل الحرمان الى حده الاقصى ثار الابناء على الاب ، لم تكن احادية اي عدوانية فقط وانما ثنائية اي حبية كذلك . فعندما انطفأت الكراهية بالقتل بقي الحب يؤنب الابناء على فعلتهم ، فبدلا من ان يتقاسموا ممتلكات الاب وبصورة خاصة "الام" انتابهم الشّعور بالذّنب اضافة الى ان أيّاً منهم لا يمكن ان يحلّ محل الاب ، ولا يكون في مستواه.

فانقلبت الامور فحرموا على انفسهم ، كل ما كانوا يطالبون به في حياة الاب ، واعتبر مكانه فارغاً كقانون اولي يذّكر كل فرد ، بأن ما من أحد يحل محل الاب ، ويستبيح الام المحرمة.

من هنا يستخلص "فرويد" بأن القانون ، هو كناية عن الاب المثالي اي الاب الميت الطوطم.

هذا على الصّعيد الهوامي وليس الاسطوري ، كل انسان يخلق من القانون الاولي ويستأنس بفضله ، ولا يسلم أحد من هذه العملية النّفسية.

وبذلك ان المشكلة مع القانون لها جانبان : جانب نفسي يعود الى التّربية ، وعلاقة الاهل مع الممنوعات قبل ان تصبح محرمات ، حيث نرى التّهاون والتّراخي بأكثر مما تتطلب رفاهية الطّفل والثاني : سياسي من كونه يحتاج لإرادة فاعلة ، من القائمين على الحكم وتسير شؤون البلاد بضوابط معينة ، منها ما هو متغيّر ومنها ما هو ثابت بمقتضى دستور كل بلد .

لنصل الى الاقرار بمنطق الواقع اذ لا يمكن لدولة القانون ان تتحقق ما دامت عالقة في شباك

ان الشّخص الانحرافي أو المحتال أو الشّاذ إذا قلت له انك حرّ من كل القيود والقوانين يصاب بهلع ، لأن الحياة تصبح مستحيلة فهو في حاجة ماسة لهذا الحدّ ، الى القانون لكي يبني رغبته على اساس نفيه

يقول "فرويد" : ان القانون عملية نفسية اساسية في تكوين المجتمع قبل ان يصبح نصوصا تنتشر

يستخلص "فرويد" بأن القانون ، هو كناية عن الاب المثالي اي الاب الميت الطوطم

لا يمكن لدولة القانون ان تتحقق ما دامت عالقة في شباك الطّائفية والمذهبية ، فحتى تصل الرّسالة الى النّفوس يجب ان تمر عبر القنوات التي تحقق الهويّة الواحدة ، والانتماء الموحد

وعلينا العمل ان يكون بلد

الطّائفية والمذهبية ، فحتى تصل الرّسالة الى النّفوس يجب ان تمر عبر القنوات التي تحقق الهويّة الواحدة ، والانتماء الموحد ، وهذا يتطلب عملا يشارك فيه جميع ملاحيّ سفينة الانقاذ للبلد ، الذي نأمل بل نطمح وعلينا العمل ان يكون بلد ، القانون : الذي هو المرجعية للجميع مهما كان انتمائهم الدّيني او السّياسي .

، القانون : الذي هو المرجعية للجميع مهما كان انتمائهم الدّيني او السّياسي

**** ****

اصـــــدارات " شبكة العلوم النفسية العربية "

اصدارات محمية بكلمة عبور للمشتركين

- المجلة العربية للعلوم النفسية
http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm

- الكتاب النفسي العربي
http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm

- المعجم الموسع للعلوم النفسية

الاصدار العربي
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Dict.Ar.htm

اصدارات التحميل الحر (غير محمية بكلمة عبور)

- الإصدار الفصلي للإنسان والتطور (حسب المحاور)
http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm

- المعجم الوجيز للعلوم النفسية
الاصدار العربي
http://www.arabpsynet.com/eDictBooks/IndexDictBook-Ar.htm
الاصدار الفرنسي
http://www.arabpsynet.com/eDictBooks/IndexDictBook-Fr.htm
الاصدار الانكليزي
http://www.arabpsynet.com/eDictBooks/IndexDictBook-Eng.htm

- الكتاب النفسي العربي (اصدارات خارج السلسلة الفصلية)
http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm

- إصدارات التراث النفسي العربإسلامي
www.arabpsynet.com/TourathPsy/eBT1Wazzani2013.pdf

- المجلة العربية للعلوم النفسية (من العدد الأول إلى العدد 25-26)
http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm

- مجلة مستجدات العلوم النفسية العربية
http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm

- مجلة مستجدات العلوم النفسية العربية
http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm

- دليل.. « شعن / أرابيسينات» . . . حصاد مسيرة عقد من الزمن
www.arbpsynet.com/APNeBook10Years.pdf

- "الكتاب الابيض" للعلوم النفسية العربية
www.arabpsynet.com/WhiteBooks/eWBIndex.htm

- دليل ماسواهـــــــــــــــــــــــــــــــ
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/IndexSamarrai.htm